الْعَاقِلُ لَا يُلْدَغُ مَرَّتَيْـنِ

يُحْكَى أَنَّ أَسَدًا كَـانَ يَعِيشُ فـِي أَجَمَةٍ بِجِوَارِ حَيَوَانٍ يُسَمَّـى ابْنَ آوَى، فَكَانَ الْأَسَدُ إِذَا مَا افْتَـرَسَ أَرْنَبًا أَوْ غَزَالًا، يَأْكُلُ مِنْهُ حَتَّـى الشَّبَعِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَيُقْبِلُ ابْنُ آوَى عَلَى مَا فَضَلَ مِنَ الْفَرِيسَة لِيَقْتَاتَ عَلَيْـهَا. وَ هَكَذَا اعْتَادَ ابْنُ آوَى أَنْ يَعِيشَ عَالَةً عَلَـى جَارِهِ، إِلَـى أَنْ جَاءَ يَوْمٌ أُصِيبَ فِيهِ الْأَسَدُ بِمَرَضٍ أَضْعَفَهُ وَ أَقْعَدَهُ عَنِ الصَّيْدِ. طَالَ الْأَمَدَ وَ أَصَابَ ابْنَ آوَى الْجُوعُ، فَقَصَدَ الْأَسَدَ لِيَسْتَطْلِعَ أَمْرَهُ :

* مَا بَالُكَـ يَا جَارِي الْعَزِيزُ لَا تُغَادِرُ عَرِينَكَـ؟ مَا الَّذِي أَقْعَدَكَـ؟
* مَرَضٌ أَلَمَّ بِــي، وَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا قَلْبُ حِمَارٍ.

تَبَسَّمَ ابْنُ آوَى وَ قَالَ : " قَلْبُ حِمَارٍ ؟ لَا عَلَيْكَـ يَا سَيِّدِي، أَنَا آتِيكَـ بِهِ، فَأَنَا أَعْرِفُ حِمَارًا، سَأَحْتَالُ عَلَيْهِ وَ أُحْضِرُهُ لَكَـ، إِنَّهُ أَمْرٌ عَلــَيَّ يَسِيـرٌ".

بَحَثَ ابْنُ آوَى عَنِ الْحِمَارِ، فَوَجَدَهُ يَرْتَاحُ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَبَادَرَهُ بِالسَّلَامِ، ثُمَّ أَرْدَفَ قَائِلًا :

* أَيُّــهَا الْحِمَارُ مَالِـي أَرَاكَـ شَاحِبًا، هَزِيلًا؟! أَمَا يُطْعِمُكَـ صَاحِبُكَـ وَ يَسْقِيكَـ؟!
* لَقَدْ أَنْـهَكَنـِي التَّعَبُ وَ أَضْنَانِي الْجُوعُ، فَصَاحِبِـي يُجْهِدُنِي بِحَمْلِ الْأَثْقَالِ، وَ يَبْخَلُ عَلَــيَّ بِالطَّعَامِ.
* وَ لِـمَاذَا عَلَيْكَـ أَنْ تَتَحَمَّلَ مَا لَا يُطَاقُ؟ تَعَالَ مَعـِي أَدُلُّكَـ عَلَــى مَكَــانٍ خَصِيبٍ، يَسْكُنُهُ قَطِيعٌ مِنَ الْحُمُرِ، تَأْنَسُ بِـهِمْ وَ بِكَـ يَأْنَسُونَ.

اِنْطَلَقَ الْحِمَارُ بِرِفْقَةِ ابْنِ آوَى مُتَلَهِّفًا لِرُؤْيَةِ الْـمَكَـانِ، وَ حِيـنَ وَصَلَا اتَّجَهَ ابْنُ آوَى إِلَـى

حَيْثُ يَقْبَعُ الْأَسَدُ. وَ مَا إِنْ لَـمَحَهُمَا حَتَّـى هَجَمَ عَلَـى الْحِمَارِ مُحَاوِلًا افْتِـرَاسَهُ، لَكِنَّهُ وَ لِشِدَّةِ ضَعْفِهِ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الاِمْسَاكِـ بِهِ، فَهَرَبَ بَعِيدًا، وَسَطَ دَهْشَةِ ابْنِ آوَى!

* مَاذَا أَصَابَكَـ يَا سَيِّدَ الْغَابَةِ؟! أَلِهَذِهِ الدَّرَجَةِ بَلَغَ مِنْكَـ الضَّعْفُ؟! أَلَمْ تَقْوَ عَلَــى حِمَارٍ؟!
* هَذَا لِأَنَّ الْـمَرَضَ أَقْعَدَنِي عَنِ الصَّيْدِ فَتْـرَةً طَوِيلَةً، وَ لَئِـنْ أَتَيْتَنِـي بِهِ ثَانِيَةً، فَلَنْ يُفْلِتَ مِنِّـي.

وَ مَرَّةَ أُخْرَى، فَتَّشَ ابْنُ آوَى عَنِ الْحِمَارِ فَوَجَدَهُ مُنْـزَوِيًا فِـي رُكْنٍ بَعِيدٍ، وَ هُوَ يَرْتَجِفُ خَوْفًا.

* مَا بَالُكَـ يَا صَدِيقِي؟ لِـمَاذَا هَرَبْتَ؟ إِنَّهُ أَحَدُ الْحَمِيـرِ أَتَاكَـ مُرَحِّبًا، وَ لَوْ أَنَّكَـ انْتَظَرْتَ لَاصْطَحَبَكَـ مَعَهُ لِيُعَرِّفَكَـ عَلَـى بَاقِـي الْقَطِيعِ.

صَدَّقَ الْحِمَارُ مَا سَمِعَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَى أَسَدًا مِنْ قَبْلُ، وَ عَادَ أَدْرَاجَهُ إِلَـى الْغَابَةِ، بَيْنَمَا رَاحَ ابْنُ آوَى يُشَجِّعُ الْأَسَدَ، وَ يُقَوِّي مِنْ عَزِيمَتِهِ : " هَا قَدْ عَادَ الْحِمَارُ، وَ الْفُرْصَةُ أَتَتْكَـ مِنْ جَدِيدٍ، فَلَا تُضَيِّعْــهَا مِنْ بَيْـنِ يَدَيْكَـ، وَ لَوْ أَفْلَتَ مِنْكَـ هَذِهِ الْـمَرَّةَ فَإِنَّكَـ لَنْ تَرَاهُ مَرَّةً أُخْرَى".

اِسْتَمَرَّ ابْنُ آوَى فِـي تَحْرِيضِ الْأَسَدِ حَتَّــى اسْتَعَادَ رَبَاطَة جَأْشِهِ، وَ هَبَّ مُسْرِعًا مِنْ مَجْلِسِهِ إِلَـى حَيْثُ يُوجَدُ الْحِمَارُ ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ وَ قَتَلَهُ. ثُّمَّ اِلْتَفَتَ إِلـَى ابْنِ آوَى قَائِلًا : " لَقْدَ أَوْصَانِي الطَّبِيبُ بِأَنْ أَغْتَسِلَ قَبْلَ أَنْ أَتَنَاوَلَ قَلْبَ الْحِمَارِ، هَلَ لَكَـ أَنْ تَنْتَظِرَ هُنَا رَيْثَمَا أَغْتَسِلُ وَ أَعُودُ، فَآخُذُ حَاجَتِـي، وَ أَتْرُكُـ لَكَـ الْبَاقِــي".

لَكِنْ، وَ مَا إِنْ خَلَــى ابْنُ آوَى بِالْحِمَارِ حَتَّـى انْتَـَزَعَ مِنْهُ الْقَلْبَ وَ الْتَـهَمَهُ، كَـــيْ يَتَشَاءَمَ

الْأَسَدُ فَلَا يَأْمَلُ مِنَ الْفَرِيسَةِ شَيْئًا.

عَادَ الْأَسَدُ سَرِيعًا، لَكِنَّهُ لَمْ يَعْثُـرْ عَلَــى الْقَلْبِ فِـي جَوْفِ الْحِمَارِ، فَتَسَاءَلَ مَذْعُورًا : " كَيْفَ لِهَذَا الْحِمَارِ أَنْ يَعِيشَ مِنْ غَيْـرِ قَلْبٍ؟ "

فَأَجَابَهُ ابْنُ آوَى بِخُبْثٍ : " أَوَلَوْ كانَ لِلْحِمَارِ قَلْبٌ يَفْقَهُ بِهِ أَكَـانَ رَجَعَ ثَانِيَةً بَعْدَ أَنْ نَجَا مِنَ الْهَلَاكِـ؟! وَ هَلْ لَوْ كَـانَ لَهُ قَلْبٌ يُرْشِدُهُ إِلَـى الصَّوَابِ أَكَـانَ خُدِعَ مَرَّتَيْـنِ؟!"

تَشَاءَمَ الْأَسَدُ مِنْ فَرِيسَتِهِ، فَأَعْرَضَ عَنْـهَا، وَ ابْتَعَدَ يَجُرُّ أَذْيَالَ الْخَيْبَةِ.

أَجَمَةٌ : أَرْضٌ ذَاتُ أَشْجَارٍ كَثِيفَةٍ.

اِبْنُ آوَى : حَيَوَانٌ يُشْبِهُ الذِّئْبَ.

أَلَمَّ : أَصَابَ.

رَبَاطَةُ الْجَأْشِ : هُدُوءُ النَّفْسِ وَ ثَبَاتُ الْقَلْبِ.

**شَرْحُ مُفْرَدَاتٍ :**